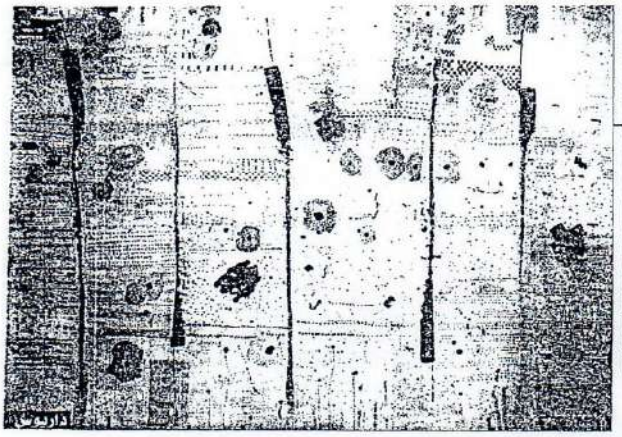

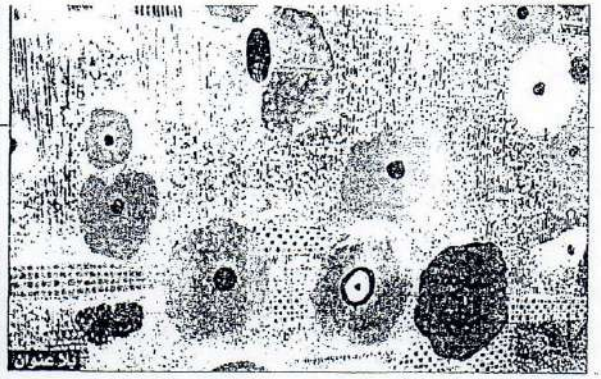

تتكلم بكل اللغات وتعبر... وان كانت بلا عنوان

ذكريات هيكات كالان الصامتة في جنين ريبز

حين ننظر الى تاريخ بلد ما، نلاحظ ان الفنون ساهمت بشكل اساسي في تحديد هويته الوطنية. وفي حين يدخل معظم السياسيين ورجال الدول في غياهب النسيان وحتى معظم المخترعين الجدد، يجري التعريف عن البلدان باسماء فنانيها، او ليس ليوناردو دافنشي اشهر من سواه في ايطاليا؟ مثلاً اليس كل شيء يدل على ان الفن والثقافة عناصر اساسية في النظرة التاريخية لبلد ما، وبما ان لبنان يُعتبر دولة جديدة نسبياً تاسست بعد الحرب العالمية الاولى وبعد سقوط السلطنة العثمانية، لا يوجد فنان يمثل ذاكرة بيروت العالمية اكثر من هيكات كالان، وان كان لديك شك في ان كنت غير مطلع على فنها، فليس عليك الا التوجه الى غاليري جنين ريبز من ٢ الى ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) حيث تعرض كالان مجموعتها الاخيرة تحت عنوان «ذكريات صامتة». تاملها وستكتشف سريعاً صحة هذه المقولة التي اطلقتها اليس برازو - رئيسة جامعة الفنون الجميلة في البندقية.

٢٤ لوحة وجدارية انجزتها هيكات كالان ابنة بشارة الخوري، اول رئيس للجمهورية اللبنانية. بعد متابعة دروسها الاكاديمية في بيروت عاشت مدة عقدين في باريس، ومنذ العام ١٩٨٦ اصبح مقرها في اميركا.

كالان عرفت شهرة مميزة منذ العام ٢٠٠٧ اذ عرضت في الكويت، ابو ظبي، بيروت، نيويورك، لوس انجلوس وفي لندن ودبي. واذا كان فنها شخصياً وفريداً فان موضوعها عالمي، والاشكال التي تقدمها بالاسلوب التجريدي تفتح حوارات لا تنتهي مع المتلقي تماماً مثل هندسة الارابيسك. فن كالان قادر على الايحاء بالسحر وبالموسيقى، وبروحانيته. فيه نفحة من بول كلي وبنوعية حركته مثل غوستاف كليمت. لوحاتها غنية متنوعة وتخلق تناغماً رائعاً..

لوحات كالان التي انجزتها بمواد مختلفة على القماش بالاسلوب التجريدي تبدو مفعمة بالامل بألوانها الحية وخلفياتها الموسقة. تبدو الرسامة كلما تقدمت بالعمر والخبرة تكتشف اكثر جمال الحياة وتعشق شفافية العيش.

ذكريات «كالان» التي اسمتها صامتة، لكنها تتكلم بكل اللغات تعبّر عن الفرح والسلام والطمأنينة حتى لو كانت بلا «عنوان». ولوحتها «داريوس» بشكل خاص كأنها جمعت فيها النجوم والكواكب وطلاسم الخط الجيد. اما خلفية لوحاتها فمشغولة بدقة وعناية متناهية وذوق.

ولعل سبب سعادة الفنانة انها لا تفكر بالوقت بل تستسلم لمتعة اللحظة كما قالت لـ «الاسبوع العربي». فهي تولد مجدداً مع كل عمل. فيه وبه ومعه، ولا تكترث، وهي ابنة الثمانية والسبعين، للاسئلة المتعلقة بالوقت آي با! عمر لان لا معنى برأيها ان تقضي اياماً وسنوات مع من لا تحبّ وانت تفعل امراً لا يعني لك شيئاً ولا يستحوذ على فكرك وقلبك وروحك. كالان لا تنظر الى الساعة حين ترسم لانها تفعل ما تحب وتستمتع بفنها. وهي سعيدة - تقول - لأنها اختارت ممارسة ما تعتقد انه عمل تجيده وهي تتخيل انها مع انجاز كل لوحة عمرها يطول والاهم انها تفعل ما تريد وما ترغب به وهي تمارس حرية تامة في الرسم.

تأثير بيروت

في اعمال كالان المتعددة الالوان والاشكال والاتجاهات، تأثير بيروت موجود طبعاً الى جانب تأثيرات أخرى حملتها من كاليفورنيا وغيرها، وكلها تسللت الى لوحتها بشكل لا ارادي وانطوت على القماش، ذلك ان اللوحة برأيها تأتي بفعل تراكم من قراءة وثقافة ومتابعة. وهذه التراكمات تنفجر احياناً فتأخذ شكل لوحة.

من يتابع فن كالان يلاحظ انه متميز بالزخارف والمينيمالية وانها فنانة تتطور ببطء، فهي لا تهاجئ الناس بتقلبات جذرية، بل ان الفنانة تحبّ ماضيها وتقدره ولم تتنكر يوماً لاعمالها بل اظهرت محبة كبيرة لهذه الاعمال لان «اليوم ابن البارحة ووالد الغد» تقول. تجدر الاشارة الى ان الفنانة عاشت بسعادة كل لحظة من حياتها وأرادت ان تبقي هذا الشريط الذي يمثل محطات حياتها ليس فقط في ذاكرتها بل امام عينيها حتى قبل في منزلها ومحترفها في البندقية انه اشبه بمفكرة يوميات او مذكرات اي البيت الذي قررت ان تمضي فيه بقية عمرها. ارادته مثل مرآة او كتاب مفتوح يتيح للزائر التعرف عليها وعلى حياتها الشخصية واللحظات المؤثرة المحزنة والمفرحة من حياتها وجعلت تصميمه وهندسته انطلاقاً من هذا المبدأ.

في البندقية

بعد سنوات قضتها هيكات كالان بين لبنان وفرنسا وكاليفورنيا، قررت الاقامة في البندقية في منزل يشبه القصر. تسميه هي كاتدرائيتها لانها تمضي فيه ٩٠٪ من وقتها. في هذه المدينة يمكن للمثقف ان يعيش كمثقف كاتب او رسام... الفنان يحظى بالتقدير الذي يستحق ويعيش وسط عدد من الفنانين العالميين الذين قصدوا الجزيرة للتفرغ لفنهم. وهيكات كالان هناك تشعر كأنها في وطنها وسط اصدقاء. «قيل لي ان البندقية صحراء ثقافية وهذا غير صحيح» قالت